حاسماً، مصيرياً، تهرّبت منه طوال عشرين سنة: ماذا ستفعل بالمناطق [المحتلة]؟»[١].

وقد أجرى يورام باك حساب «اربعين سنة على قيام الدولة ومئة سنة تقريباً على ظهور الصهيونية السياسية»، ليكتشف ان «الاكثرية العظمى للشعب اليهودي رفضت الحل الصهيوني... وان معظم هذا الشعب لا يقيم في [اسرائيل]». وتنساب المرارة من فمه حين وصل الى استنتاج مفاده ان «لدولة اسرائيل طابعاً مؤقتاً، ناجماً عن حقيقة أساسية وهي ان ' دولة اليهود ' هي دولة جزء صغير من اليهود. فهي ' دولة أقلية اليهود ' »، ممّا يجعل هذه الاقلية، في اعتقاده، غير قادرة على «التصدي لمشكلات اليهودية»، ويوقعها، بالتالي، في «ارتباك ازاء النظرة الى أقلية غير يهودية، والتصدي لمشكلة الاحتفاظ باجزاء يقيم فيها شعب آخر»[٢].

امّا عوزي بنزيمان، فرأى في الانتفاضة انها «أيقظت من سباتها مسائل أساسية تتعلق بهوية الدولة، وحدودها، وتعريف سكانها، وقدرتها على البقاء»، متهماً اليمين واليسار الاسرائيليين «بالهرب الى كليشيهاتهما المبتذلة». وطالب الحكم بمناقشة «أسئلة حقيقية» من نوع: «ما هو تعريف الشعب الذي يعيش في هذه الدولة؟ ما هو مستقبل العلاقات بين الجمهور اليهودي والجمهور العربي؟ لمن تدين الاقلية العربية [في اسرائيل] بالولاء؟ ما هو واجب هذا الجمهور ازاء اسرائيل؟ وما هو ارتباطه بعرب المناطق [المحتلة]: مجرد تعاطف أو مصير مشترك؟ حتى وان قامت دولة فلسطينية في الضفة والقطاع، كيف سيعرف الجمهور العربي [في اسرائيل] نفسه؟ ما هي فرص اسرائيل في البقاء كوطن قومي للشعب اليهودي؟ ما هي الغاية من الاحتفاظ بالمناطق [المحتلة]؟ ما هي دلالة نسب القوى العددية بين اليهود والعرب في اسرائيل والمناطق [المحتلة]؟ وفي حالة نشوب حرب، ماذا ستكون ردة فعل الجمهور العربي في المناطق [المحتلة]، وفي اسرائيل؟ ماذا تفعل الاضطرابات في المناطق [المحتلة] بجنودنا؟ هل من المستساغ التفكير في رسم حدود جديدة تفصل بين العرب واليهود؟ هل يصحّ تعزيز عملية اختلاط السكان اليهود والعرب مع بعضهم بعضاً؟ هذه الأسئلة قائمة في اعماق الوعي العام، وهي لا تُطرح، لأنها مستعصية على الحل»[٣].

ولكن هذه الاسئلة، وغيرها، لم تعد، في مرحلة ما بعد الانتفاضة، أسئلة غير ذات بال، طالما عملت اسرائيل على تلافي طرحها، بل شقّت طريقها الى صلب السياسة الاسرائيلية ونهجها في التعاطي مع الانتفاضة والحقائق التي افرزتها. ولم تعد النبوءة التي رآها أحد الكتاب الاسرائيليين من ان «الحلم الصهيوني يتبدد تدريجياً، والدولة في طريقها الى الانهيار» موضع تساؤل مجرّد، أو تعبير عن حالة يأس، بقدر ما اصبحت واقعاً كئيباً يخيّم على عقول الاسرائيليين الكبار، الذين يعرفون، اكثر من غيرهم، الظروف التي تحقق في سياقها المشروع الصهيوني، ومدى قدرته على الاستمرار، بينما يرونه، الآن، ينهار أمام عيونهم. وها هو الجواب جاء من الرئيس الاسرائيلي، حاييم هرتسوغ، في اثناء الاحتفال الرسمي بذكرى مرور ٨٤ عاماً على وفاة ثيودور هيرتسل: «مع مزيد من الأسف تراجع الحلم الصهيوني في السنوات الأخيرة، والثقة أخلت مكانها للشك والريبة وحتى الاحساس بالغرق؛ وقد تحوّلنا الى مجتمع متوحّش ضد انفسنا وضد الآخرين»[٤].

التغيّر في اتجاهات الرأي العام

قد يكون من السابق لأوانه اعطاء حكم قاطع على التحوّلات الجارية في اتجاهات الرأي العام الاسرائيلي بسبب الانتفاضة الجارية في الأرض المحتلة؛ وذلك على الرغم من المؤشرات التي ظهرت في نتائج الانتخابات البرلمانية الاخيرة (انتخابات الكنيست الثاني عشر). ذلك ان الانتفاضة لا